

فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا



.. علم الله تعالى المحيط بكل ما في السماوات والأرض ، هو علمٌ مطلق ، بعيدٌ عن قيود الغيب وقوانين الزمان والمكان التي تحكمنا ..

﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ

عَلَىٰ اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحج : ٧٠]

.. حدود قوّة الفعل تتعلّق بحدود قوّة الفاعل ، وعلم الله تعالى صفةً مطلقةً تتعلّق بذاته ، وأغطية الغيب وقوانين المكان والزمان التي تُحدِّد علمنا و يقيننا ، لا تحكم علم الله سبحانه وتعالى ، فعلم الله تعالى بما سيكون في المستقبل وبما كان في الماضي ، لا يختلف عن علمه بما يكون في الحاضر ، وعلم الله تعالى بظاهر الأمور لا يختلف عن علمه بباطنها ..

﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحديد : ٣]

.. ولذلك يحدثنا الله تعالى في كتابه الكريم ، عن مسائل هي بالنسبة لنا ولانصياعنا لقوانين المكان والزمان ، تُعدُّ غيباً لم يأتِ وقته بعد ، وينقلها القرآن الكريم المتعلّق بصفات

الله تعالى ، صوراً حية ماثلة أمام أعيننا على حقيقتها تماماً ، فهو يراها سبحانه وتعالى بعيداً عن أعطية الغيب وقوانين المكان والزمان ، التي تحكمنا ..

﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥٦﴾
 يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَلَمْ نَكُنَّا مِنْكَ تَرْابًا وَعِظْمًا أَهِّنًا لِّمَدِينُونَ ﴿٥٨﴾ قَالَ
 هَلْ أَنتُمْ مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٩﴾ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٦٠﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدْتَ لَتُرْدِينَ ﴿٦١﴾
 وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٦٢﴾ [الصافات : ٥٠ - ٥٧]

.. علم الله تعالى المطلق يحيط بهذه المسألة - المستقبلية بالنسبة لنا - التي ربّما لم يُخلَقْ أفرادها بعد ، فهو جلّ وعلا يراها ويعلمها قبل خلق أولئك الذين تتحدّث عنهم هذه الصورة .. ولا يحقُّ لنا أن نجعل من علمنا وتصوّراتنا وقدراتنا المقيدة بإطار المكان والزمان والغيب قيدياً على علم الله تعالى وقدرته ، وكأنّ علم الله تعالى وقدرته لا حدود لها إلا ضمن الإطار الذي يستطيع عقلنا الإحاطة به وإدراكه ..

ولا بُدَّ من التمييز بين العلم الإلهي الكاشف ، من وجهة نظر الوجود الإلهي المطلق غير المحكوم لقوانين المكان والزمان ، وبين العلم الإلهي المُشاهد ، أثناء وجود المخلوقات ضمن إطار المكان والزمان الذي تعيش فيه ..

.. فأبى حادثة يعلمها الله تعالى علماً مطلقاً ، قبل نزولها إلى إطار المكان والزمان ، وأثناء وجودها فيه ، وبعد خروجها منه .. هذا العلم الإلهي هو علم مطلق بغض النظر عن وجود الحادثة ضمن إطارها المكاني والزمني ، أو خارج هذا الإطار ..

.. أمّا العلم الإلهي بالحادثة أثناء نزولها إلى عالم الوجود المادي ، ضمن إطار المكان والزمان ، وعيشها عمرها في هذا الإطار ، هذا العلم هو حالة خاصّة من العلم الإلهي المطلق السابق ، فهو علم مشاهدة مكانيّة زمنيّة للحادثة أثناء وجودها ضمن إطار المكان والزمان .. وفي كتاب الله تعالى يُصوّر هذا العلم عبر الصيغ المختلفة لكلمة ﴿يَعْلَمُ﴾ ،

نعي صيغ الفعل المضارع : [[لِنَعْلَمَ ، وَلِيَعْلَمَ ، يَعْلَمَ ، لِيَعْلَمَ] ،
 [نَعْلَمَ] ..

﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ ﴾ [البقرة : ١٤٣]

﴿ إِنْ يَمَسُّكُمْ فَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَرْحٌ مِّثْلُهُ ﴾ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ
 وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ ﴾ [آل عمران : ١٤٠]

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾
 [آل عمران : ١٤٢]

﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّنْقِي الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران :
 ١٦٦]

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَتَلَوْنَكُمْ اللَّهُ شَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ
 لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن سَخِفَ بِهِ بِالْغَيْبِ ﴾ [المائدة : ٩٤]

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ ﴾ [التوبة : ١٦]

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِئُوا أَمَدًا ﴾ [الكهف : ١٢]

﴿ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُّؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي
 شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴾ [سبأ : ٢١]

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَنَّكُمْ أَحْبَارَكُمْ ﴾ [محمد :
 ٣١]

.. بينما علم الله تعالى المطلق الكاشف المجرد عن تجلّي الحادثة في إطارها المكاني والزماني ، نراه جلياً في الصور القرآنيّة التالية ، حيث يُصوّر هذا العلم في كتاب الله تعالى عبر الصيغ المختلفة لكلمة ﴿عَلِمَ﴾ نعي صيغ الفعل الماضي : [﴿عَلِمَ﴾ ، ، ﴿وَعَلِمَ﴾ ، ، ﴿فَعَلِمَ﴾] ..

﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة : ١٨٧]

﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾ [البقرة : ٢٣٥]

﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ﴾ [الأنفال : ٢٣]

﴿الَّذِينَ خَفَفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ [الأنفال : ٦٦]

﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح : ١٨]

﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح : ٢٧]

﴿عَلِمَ أَنَّ لَنْ مُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ

مِنْكُمْ مَّرْضَىٰ﴾ [المزمل : ٢٠]

.. إذا .. في كتاب الله تعالى نرى أن دلالات الصور القرآنيّة المحيطة بكلمة ﴿عَلِمَ﴾

بصيغة الماضي ، تختلف عن دلالات الصور القرآنيّة المحيطة بكلمة ﴿يَعْلَمُ﴾ بصيغة

المضارع .. فصيغة الماضي - كما رأينا - تصوّر علم الله تعالى الكاشف المجرد أزلاً ..

وصيغة المضارع أقرب إلى دلالة علم الله تعالى المتعلّق بالمشاهدة للحادثة أثناء وقوعها في

عالمها المكاني والزماني ، تلك الحادثة التي علمها الله تعالى أزلاً قبل حدوثها ووجودها في

عالمها الحادث ..

.. والذين يزعمون أن الأنبياء عليهم السلام يعلمون الغيب ، يستشهدون بالنص

التالي على ذلك ..

﴿ قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقْرِبُ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا ﴾ ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ ﴿إِلَّا مَنْ أَرْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ ﴿لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ [الجن : ٢٥ - ٢٨]

.. قوله تعالى ﴿ قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقْرِبُ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا ﴾ ينقض

ما يُفترى على النبي ﷺ بأنه قال : « بعثت أنا والساعة كهاتين » .. فالأمد يكون قريباً وبعيداً : ﴿ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ﴾ [آل عمران : ٣٠] ، وكل ذلك ينفي ما يُفترى على النبي ﷺ بأنه قال « بعثت أنا والساعة كهاتين » ، بهذه الحِيثِيَّة من الصياغة ..

.. والآية الكريمة ﴿ قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقْرِبُ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا ﴾

تنفي علم النبي ﷺ بالغيب ، فما يوعدون هو غيب ، والنبي ﷺ يأمره الله تعالى بأن يُبلغ عدم علمه بهذا الغيب ..

.. والآيات التالية لها تبين هذه الحقيقة بتفصيلٍ يشمل مفهوم الغيب وعلاقته بما

تتضمنه رسالات الله تعالى للبشر من هذا الغيب ... العبارة الأولى هي ﴿ عَلِمُ الْغَيْبِ ﴾

، فالله تعالى هو عالم الغيب ، والله تعالى عالم الغيب لا يُظهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ الْمُطْلَقِ ﴿ غَيْبِهِ ﴾

أحداً ، فغيب الله تعالى المطلق لا تُوجد له مقدمات بين أيدينا في عالمنا المحسوس نستطيع

الانطلاق منها نحو ﴿ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴾ ..

.. وما نراه أنَّ كلمة ﴿غَيْبِهِ﴾ لا تحمل صيغة العموم ، فهي لفظ مفرد مضاف ، حيث يُضاف الغيب لله تعالى ، لتصور لنا الغيب المتعلق بالله تعالى .. ونرى الفاء في بداية قوله تعالى ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ وذلك بعد قوله تعالى ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ﴾ .. فعدم إظهار أحدٍ على غيبه جلّ وعلا يتعلّق بكونه عالم الغيب ، وهذا ما نقرؤه بورود حرف الفاء في كلمة ﴿فَلَا﴾ ، والتي تقع بين قوله تعالى : ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ﴾ وبين قوله تعالى : ﴿يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ ..

.. ولكن .. هناك استثناء .. فهذا الغيب المطلق ﴿غَيْبِهِ﴾ ، قد يُظهِرُ اللهُ تعالى جانباً منه لمن ارتضى من رسول ﴿إِلَّا مَنْ أَرْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ﴾ .. فماذا يعني هذا الاستثناء ؟ ..

.. في قوله تعالى ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ نرى كلمة ﴿يُظْهِرُ﴾ ، دون كلمة (يُطْلِع) ، أو (يُعْلِم) وكلمة ﴿يُظْهِرُ﴾ في كتاب الله تعالى تعني يُعْلِي وَيُبَيِّن وَيُجَلِّي وينشر ..

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ۗ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ

أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴾ [غافر : ٢٦]

.. وهذا ما نراه في قوله تعالى ..

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ

كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة : ٣٣]

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ

بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الفتح : ٢٨]

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ

الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف : ٩]

.. لذلك .. ورود كلمة ﴿يُظْهِرُ﴾ في هذا النصّ الكريم دون أيّ صياغة أخرى ليس

عبثاً .. فالله تعالى لم يقل : (فلا يُطْلِعُ على غيبه أحداً) ، ولم يقل : (فلا يُعْلِمُ غيبه

أحداً) .. فاستشرف الغيب والإطلاع عليه تناسبه كلمة (اطلع) أو (علم) ..

﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا

كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧٩﴾ فَآمَنُوا بِاللَّهِ

وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران : ١٧٩]

﴿ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنِّي

أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام :

[٥٠

﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ

لَأَسْتَكْبَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَنَذِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [

الأعراف : ١٨٨]

﴿ أفرأيت الذي كفر بآياتينا وقال لأؤتينا مالا وولدا ﴿٧٧﴾ أطلع الغيب أمر

أتخذ عند الرحمن عهداً﴾ [مريم : ٧٧ - ٧٨]

﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ

يُبْعَثُونَ ﴾ [النمل : ٦٥]

.. وفي هذه النصوص ما يؤكد أن النبي ﷺ لا يعلم الغيب ، ولم يطلع على الغيب ..

إضافة لقوله تعالى التالي الذي يؤكد - أيضاً - هذه الحقيقة ..

﴿ قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَاٍ مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرَىٰ مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنَّا نَتَّبِعُ إِلَّا مَا

يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الأحقاف : ٩]

.. إذا .. ورود كلمة ﴿ يُظْهِرُ ﴾ دون كلمة (يُطْلِع) أو (يُعْلِم) ليس عبثاً ..

ويحمل دلالات لها حدودها التي تميزها عن دلالات علم الغيب والاطلاع عليه .. وهذه

الدلالات المحمولة بالعبارة ﴿ يُظْهِرُ عَلَىٰ ﴾ تبين مفهوم العلو إلى مستوى الاطلاع على

الغيب المعني بقوله تعالى ﴿ غَيْبِهِ ﴾ ، كون هذا الغيب كامناً بين أيدي المعنيين بهذا

الاستثناء ، وهم الذين ارتضاهم الله تعالى لذلك ، وما ينقصهم للاطلاع عليه هو البيان

والعلو إلى مستوى استنباطه ..

.. فالمستثنى ﴿ إِلَّا مَن أَرْتَضَىٰ مِن رُّسُولٍ ﴾ من الاطلاع على غيب الله تعالى المطلق

الذي لا يُظْهِرُ عليه أحداً ﴿ غَيْبِهِ ﴾ .. هذا المستثنى .. غيب الله تعالى موجودٌ وكامنٌ

بين يديه ، وقد ارتضاه الله تعالى ليظهره على هذا الغيب ﴿ مِن رُّسُولٍ ﴾ ، وذلك بأن

يهديه الله تعالى لرفع الغطاء عن هذا الغيب الكامن في ساحة الرسالة ﴿ رُّسُولٍ ﴾ ..

.. من هنا نرى حكمة ورود صيغة الرسالة ﴿ رُّسُولٍ ﴾ في الاستثناء ﴿ إِلَّا مَن

أَرْتَضَىٰ مِن رُّسُولٍ ﴾ ، وفي هذا دليلٌ على أن المعني هو منهج الله تعالى ، وما يتعلّق به ..

فكلمة ﴿رَسُولٍ﴾ تعني المنهج وتعني حامل المنهج بما يتعلّق به من هذا المنهج .. وبالتالي يكون الاستثناء متعلّقاً بما يُستنبط من مناهج الله تعالى التي يترها على رسله ، فغيب الله تعالى لا يُظهِرُ الله تعالى أحداً عليه ، إلا من ارتضاه كمستنبط للغيب الكامن في رسالاته التي أنزلها على رسله عليهم السلام ..

.. بمعنى أن الغيب المطلق هذا يكون جانباً منه متضمناً في نصّ الرسالة ، بمعنى أنّه موجود في باطن نصوص الكتاب السماوي وظاهره .. فالكتب السماوية تحمل الكثير من الأمور الغيبية كأمر الآخرة وغيرها .. وهذا الاستثناء ﴿إِلَّا مَنْ أَرْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ﴾ هو الكامن في مناهج هذه الرسالات السماوية ..

ونحن نعلم أن نصوص الرسالات السماوية تحمل جوانب من الغيب الكامن في دلالات عباراتها ، ممّا لا يعلمه إلا الله تعالى ، وأن معرفة دلالات هذه النصوص واستنباط هذه المعرفة وبعض جوانب الغيب المحمّولة فيها ، يحتاج لبحثٍ وتدبّرٍ وتعقّل ..

.. وفي قوله تعالى ﴿إِلَّا مَنْ أَرْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ نرى أنّه وحّد الرسول ﴿رَسُولٍ﴾ ، ثم جمع في قوله تعالى ﴿لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ﴾ .. وفي ذلك بيان أن العبارة القرآنية ﴿إِلَّا مَنْ أَرْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ﴾ تتعلّق بالرسالات السماوية بما تحمله من أمور غيبية كامنة في باطن نصوصها ، وأن العبارة القرآنية ﴿لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ﴾ تتعلّق بالرسول عليهم السلام المكلفين بإبلاغ تلك الرسالات وتلك الأمور المتضمّنة فيها ، ومن بعدهم بحاملي منهج هذه الرسالات من المتدبّرين لنصوصها الداعين إليها ..

.. وقوله تعالى ﴿فَإِنَّهُ يَسْأَلُكُم مِّن بَيْن يَدَيْهِ وَمِمَّنْ خَلْفِهِم رَصَدًا﴾ ، نرى فيه ورود

كلمة ﴿يَسْأَلُكُم﴾ من الجذر (س ، ل ، ك) ومشتقات الجذر (س ، ل ، ك) في

كتاب الله تدور في إطار الدخول والوضع فسلوك الشيء دخوله والوضع فيه ..

﴿فَأَسْأَلُكُمْ فِيهَا مِمَّنْ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ وَلَمْ يَقْرَأُوا عَلَيْهِمُ الْكِتَابَ وَأَكْثَرُ النَّاسِ سَاهُونَ﴾ [المؤمنون : ٢٧]

﴿أَسْأَلُكَ يَدَاكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ [القصص : ٣٢]

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الزمر : ٢١]

.. وسلوك الشيء وضعه وهينته ..

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ [طه : ٥٣]

.. وفي قوله تعالى ﴿فَإِنَّهُ يَسْأَلُكُم مِّن بَيْن يَدَيْهِ وَمِمَّنْ خَلْفِهِم رَصَدًا﴾ نرى ورود

كلمة ﴿رَصَدًا﴾ من مشتقات الجذر (ر ، ص ، د) ومشتقات الجذر (ر ، ص ، د)

، (د) ترد في كتاب الله تعالى (٦) مرّات ، تدور معانيها فيها ضمن إطار المراقبة ..

فالإرصاد الانتظار ، والمرصد موضع المراقبة ، والرصد الحرس والراصد الراقب والترصد

الترقب ..

﴿..... وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ﴾ [التوبة : ٥]

﴿وَتَفَرِّقُوا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالرَّصَادَاتِ لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ.....﴾ [التوبة : ١٠٧]

﴿..... فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ نَجْدًا لَهُ شُهَابًا رَّصَدًا﴾ [الجن : ٩]

﴿..... فَإِنَّهُ يَسْأَلُكُم مِّن بَيْن يَدَيْهِ وَمِمَّنْ خَلْفِهِم رَصَدًا﴾ [الجن : ٢٧]

﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ [النبأ : ٢١]

﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾ [الفجر : ١٤]

.. إذا .. قوله تعالى ﴿ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴾ إِلَّا مَنْ أَرْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ

فَإِنَّهُ يَسْأَلُكُم مِّن بَيْن يَدَيْهِ وَمِمَّنْ خَلْفَهُ رَصَدًا ﴾ يعني : فإنه لا يُجَلِّي ولا يبيِّن غيبه لأحد ، إلا من ارتضى من مستنبط له من رسالة من رسالات الله تعالى ، فإن الله تعالى يهيئ له حفظاً من وساوس الشياطين ، حتى يبلغ ما هو محمول في هذه الرسالة .. فكل رسالة فيها من حفظ الله تعالى لها ما يثبت أنها من عنده جلّ وعلا ..

.. وهذا الحفظ هو من أجل أن يشهد الله تعالى مشاهدة زمانيّة مكانيّة على إبلاغ رسالاته بناء على ما أرصده لها من حفظ لمبلغها ومتدبرها ومن أدلة ودلائل كامنة فيها ، والله تعالى قد أحاط بعلمه وقدرته بما لديهم : ﴿ لَيَعْلَمَ أَنَّ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴾ ..

.. وفي قوله تعالى ﴿ لَيَعْلَمَ أَنَّ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ ﴾ ، نرى كلمة ﴿ لَيَعْلَمَ ﴾

بصيغة المضارع ، ومسبوقة بحرف اللام ، بمعنى لكي يعلم ومن أجل أن يعلم ، وقد بينا كيف أن هذه الصيغة تعني علم الله تعالى المشاهد للحادثة أثناء تجليها في عالمنا الحسّي .. ويكون المعنى ليشهد الله تعالى مشاهدة مكانيّة زمانيّة أن قد أبلغ الرسل رسالات ربهم .. بمعنى ليبلغوا رسالات ربهم كما هي ، محروسين بحفظ الله تعالى لهم في ذلك ..

.. إذا .. الدلالات المحمولة بقوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَنْ أَرْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْأَلُكُم

مِّن بَيْن يَدَيْهِ وَمِمَّنْ خَلْفَهُ رَصَدًا ﴾ تحمل مقدّمة لهدف محمول بدلالات العبارة القرآنيّة :

﴿ لَيَعْلَمَ أَنَّ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ ﴾ .. فرسالات الله تعالى بما تتضمنه من غيبٍ كامنٍ

في نصوصها ، وما يهيئه الله تعالى من حفظٍ لمتدبرها ومبلغها ، هو من أجل أن يشهد الله

تعالى مشاهدة مكانية زمانية (إضافة لعلمه الكاشف) أن المكلفين بإبلاغها واستنباط دلالاتها قد أبلغوا رسالات ربهم ..

.. والعبرة قبل الأخيرة ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ تؤكد صحة مذهبنا في هذا التفسير ،

فمكامن الغيب الكامنة في رسالاته هي من عند الله تعالى الذي يحيط إحاطة مطلقة بما لدى الناس ، وهو ذاته جلّ وعلا من يحفظ مبلغها ويعصمهم من شياطين الإنس والجن .. والعبرة الأخيرة ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ تبين أن كل شيء - سواء في عالم الشهادة أم في عالم الغيب - أحصاه الله تعالى عدداً ..

.. إذا .. نحن أمام بيان إلهي في حفظ الله تعالى لرسالاته ، وحفظ مبلغها بأنه جلّ وعلا يسلك من بين يدي مبلغها ومن خلفهم رسداً من أجل ذلك .. وكل ذلك ليشهد الله تعالى مشاهدة مكانية زمانية أن رسالاته التي أرادها قد تمّ إبلاغها ﴿لِيَعْلَمَ أَنَّ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ﴾ .. فالرسالات التي حفظها الله تعالى وسلك من بين يديها ومن خلفها رسداً ، والتي تحمل بأعماقها جزءاً من غيب الله تعالى الذي لم يُظهِر عليه أحداً ، إلا المتدبر لنصوصها الذي يرتضيه الله تعالى لذلك ، يريد الله تعالى أن يشهد مشاهدة مكانية زمانية إبلاغ هذه الرسالات في هذا العالم الذي تمتحن فيه ..

.. وهذا المعنى المحمول بهذا النصّ الكريم ، من وجود بعض جوانب غيب الله تعالى المطلق المتضمن في رسالاته ، نراه في الآية الكريمة ..

﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا

كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ ۖ فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ

وَرُسُلِهِ ۗ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿ [آل عمران : ١٧٩]

.. فالغيب لا يُطَّلَع اللهُ تعالى المؤمنين عليه ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾
 .. ولكن في رسالات الله تعالى هناك استثناء يتعلّق بهذه الرسالات ، غير ما يختاره الله
 تعالى من مبلّغها ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِطَىٰ مِنْ رُسُلِهِ مَن يَشَاءُ﴾ ..
 .. إذا .. الغيب الذي لا يُظهِرُه اللهُ تعالى على أحد ، استثنى منه ما يُضْمَنُه في
 رسالاته التي أرسلها عبر رسله عليهم السلام ، وهذا لا يعني أبداً أنّ أنبياء الله تعالى أو
 غيرهم يعلمون الغيب ..

.. فقله تعالى : ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ [الأنعام
 : ٥٠] ، وقوله تعالى : ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ
 أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ [الأعراف : ١٨٨] ، وقوله
 تعالى عن نوح عليه السلام : ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ [
 هود : ٣١] ، وقوله تعالى : ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَاٍ مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا
 بِكُمْ﴾ [الأحقاف : ٩] ، لأكبر دليلٍ على أنّ علم الغيب وما سيكون لا يعلمه حتى
 الأنبياء عليهم السلام ..

.. وهكذا .. فقله تعالى ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ [الن] إلا من
 أَرْتَضَىٰ مِنْ رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٧﴾ لِيَعْلَمَ أَن قَدَّ
 أُبْلِغُوا رِسَالَتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ [الجن : ٢٦ - ٢٨]
 ، لا يعني أنّ النبي ﷺ وغيره من الأنبياء كانوا يعلمون الغيب .. وبالتالي فاستشهاد بعضهم
 بهذا النصّ الكريم على أنّ النبي ﷺ كان يعلم الغيب ، هو جحودٌ ببيان كتاب الله تعالى في
 آياتٍ أُخرى تؤكّد - كما رأينا - أنّ الغيب لا يعلمه إلا الله تعالى ..

.. ومن أهم دوافعهم للإعراض عن دلالات هذا النص الكريم وغيره هو الانتصار لروايات وضعها بعض أسلافهم ، مع أنها تناقض روايات أخرى ، فضلاً عن كونها تناقض صريح آيات كتاب الله تعالى ..

.. الحديث التالي صريح وبيّن في أن النبي ﷺ لا يعلم الغيب ..

البخاري (٦٨٣٢) حسب ترقيم العالمية :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ إِسْمَاعِيلَ عَنِ الشَّعْبِيِّ عَنْ مَسْرُوقٍ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ كَذَبَ وَهُوَ يَقُولُ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَمَنْ حَدَّثَكَ أَنَّهُ يَعْلَمُ الْغَيْبَ فَقَدْ كَذَبَ وَهُوَ يَقُولُ لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ

.. بعد هذه الحقيقة التي يقرها القرآن الكريم وتحملها هذه الرواية ، نرى رواية أخرى

في صحيح البخاري ذاته وفي صحيح مسلم ، تحمل ما يناقض هذه الحقيقة ..

البخاري (٦١١٤) حسب ترقيم العالمية :

حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ مَسْعُودٍ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لَقَدْ خَطَبَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُطْبَةً مَا تَرَكَ فِيهَا شَيْئًا إِلَّا قِيَامَ السَّاعَةِ إِلَّا ذَكَرَهُ عِلْمُهُ مِنْ عِلْمِهِ وَجَهْلُهُ مِنْ جَهْلِهِ إِنْ كُنْتُ لِلْأَرَى الشَّيْءَ قَدْ نَسِيتُ فَأَعْرِفُ مَا يَعْرِفُ الرَّجُلُ إِذَا غَابَ عَنْهُ فَرَأَاهُ فَعَرَفَهُ

مسلم (٥١٤٧) حسب ترقيم العالمية :

و حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ عُثْمَانُ حَدَّثَنَا وَقَالَ إِسْحَاقُ أَخْبَرَنَا جَرِيرٌ عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ شَقِيقٍ عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقَامًا مَا تَرَكَ شَيْئًا يَكُونُ فِي مَقَامِهِ ذَلِكَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ إِلَّا حَدَّثَ بِهِ حِفْظُهُ مَنْ حَفِظَهُ وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ قَدْ عِلْمُهُ أَصْحَابِي هَوْلَاءُ وَإِنَّهُ لَيَكُونُ مِنْهُ الشَّيْءُ قَدْ نَسِيَهُ فَأَرَاهُ فَأَذْكُرُهُ كَمَا يَذْكُرُ الرَّجُلُ وَجْهَ الرَّجُلِ إِذَا غَابَ عَنْهُ ثُمَّ إِذَا رَأَاهُ عَرَفَهُ وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ

بُنْ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا وَكَيْعٌ عَنْ سُفْيَانَ عَنِ الْأَعْمَشِ بِهَذَا الْإِسْنَادِ إِلَى قَوْلِهِ وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ
وَلَمْ يَذْكُرْ مَا بَعْدَهُ

.. كيف يعلم النبي ﷺ الغيب لدرجة أن يُحَدِّثَ بما سيكون من فتن إلى قيام الساعة ،
في الوقت الذي يؤكِّدُ اللهُ تعالى في كتابه الكريم أن نبيّه ﷺ لا يعلم الغيب ، ولا يعلم ما
سيحدث له ولغيره ؟!!! ..

.. ولننظر في النصين التاليين المقتطعين من تفسير هذا الحديث في كتاب فتح الباري
بشرح صحيح البخاري ..

[[..... وقد أخرج مسلم من طريق أبي إدريس الخولاني عن حذيفة " والله إنني
لأعلم كل فتنة كائنة فيما بيني وبين الساعة ، وما بي أن يكون رسول الله صلى الله عليه
وسلم أسراً إليّ شيئاً لم يكن يحدث به غيري "]]

[[ثم قال حذيفة " ما أدري أنسى أصحابي أم تناسوه " والله ما ترك رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قائد فتنة إلى أن تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلاثمائة إلا قد سماه
لنا]]

.. هل نخدم السنّة الحقّ عندما نفرض هذه الروايات على الناس ونعتبرها جزءاً من
المنهج ؟!!! .. لو كان هناك تدبّرٌ حقيقيٌّ لكتاب الله تعالى ، ولو أُعتبرت هذه الروايات
دون المقدّس ، ولو تمّ اعتبارُ المتن معياراً لمعرفة صدق الروايات .. لو كان ذلك .. هل كنّا
سنرى مثل هذه الروايات ؟!!! ..

.. والرواية التالية المفتراة على النبي ﷺ بأنّه يعلم متى تقوم الساعة ، ينقضها كتاب الله
تعالى وتنقضها روايات أخرى ..

البخاري (٦٠٣٠) حسب ترقيم العالمية :

حَدَّثَنِي صَدَقَةُ أَخْبَرَنَا عَبْدَةُ عَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ كَانَ رَجُلًا مِنْ الْأَعْرَابِ جَفَاءً يَأْتُونَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَسْأَلُونَهُ مَتَى السَّاعَةُ فَكَانَ يَنْظُرُ إِلَى أَصْغَرِهِمْ فَيَقُولُ إِنْ يَعِشَ هَذَا لَا يُدْرِكُهُ الْهَرَمُ حَتَّى تَقُومَ عَلَيْكُمْ سَاعَتُكُمْ قَالَ هِشَامٌ يَعْنِي مَوْتَهُمْ

.. في هذا الحديث يسأل الأعراب عن الساعة وليس عن موتهم ، وتكون الإجابة المفتراة على النبي ﷺ بأن الساعة لا تتجاوز أصغر رجل منهم .. أما قول هشام بأن القول المنسوب إلى النبي ﷺ : **[[إِنْ يَعِشَ هَذَا لَا يُدْرِكُهُ الْهَرَمُ حَتَّى تَقُومَ عَلَيْكُمْ سَاعَتُكُمْ]]** ، يعني : **إِنْ يَعِشَ هَذَا لَا يُدْرِكُهُ الْهَرَمُ حَتَّى تَمُوتَ** .. فهذا لا دليل عليه على الإطلاق ، ويحمل إساءة لا تقل عن الإساءة التي يحملها الحديث ذاته ، فالسؤال المزعوم هو عن الساعة ..

ومن جهة أخرى فإن النبي ﷺ لا يعلم الغيب ولا يعلم متى يموت الناس ، وتأويل هشام يقتضي أن النبي ﷺ يعلم متى يموت كل من أولئك الأعراب ، وبالتالي يعلم أنهم سيموتون جميعاً قبل بلوغ هذا الغلام للهرم .. وهذا علم بالغيب .. وهذا ما ينقضه القرآن الكريم جملة وتفصيلاً ..

.. وفي الرواية ذاتها دليل على أنه ﷺ لم يكن يعلم حتى عمر من كان يقول عنه : **[[إِنْ يَعِشَ هَذَا لَا يُدْرِكُهُ الْهَرَمُ حَتَّى تَقُومَ عَلَيْكُمْ سَاعَتُكُمْ]]** ، فكلمة **[[إِنْ]]** تؤكد أنه ﷺ لم يكن يجزم أصلاً أن الغلام المعني سيعيش أم لا ، فكيف يعلم إذاً أعمار كل أفراد ذلك القرن وبأنهم سيموتون قبل أن يدرك الهرم ذلك الغلام !!!؟ .. وهذا ينسف تأويلهم من أساسه .. فالافتراء عليه ﷺ بأنه كان يعلم متى يموت الناس هو مخالفة صريحة لكتاب الله تعالى ، الذي نقرأ فيه :

﴿ قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَاٍ مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنَّا نَتَّبِعُ إِلَّا مَا

يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الأحقاف : ٩]

.. والروايات التالية تؤكد أن هذه المسألة مُفترأة على النبي ﷺ ، فصياغتها اللغوية لا

تُسَعَفُ تأويلهم الذي وُضِعَ بهدف عدم الاعتراف بعدم صحة هذه الروايات ..

مسلم (٥٢٥١) حسب ترقيم العالمية :

حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَنَا عَفَّانُ بْنُ مُسْلِمٍ حَدَّثَنَا هَمَّامٌ حَدَّثَنَا قَتَادَةُ عَنْ أَنَسٍ قَالَ مَرَّ غُلَامٌ لِلْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ وَكَانَ مِنْ أَقْرَانِي فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّهُ يُؤَخَّرُ هَذَا فَلَنْ يُدْرِكَهُ الْهَرَمُ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ

مسلم (٥٢٤٩) حسب ترقيم العالمية :

و حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ عَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ وَعِنْدَهُ غُلَامٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ مُحَمَّدٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّهُ يَعْشُ هَذَا الْغُلَامُ فَعَسَى أَنْ لَا يُدْرِكَهُ الْهَرَمُ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ

أحمد (١٣٣٤٧) حسب ترقيم العالمية :

حَدَّثَنَا عَفَّانُ حَدَّثَنَا حَمَّادٌ يَعْنِي ابْنَ سَلَمَةَ أَخْبَرَنَا ثَابِتٌ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَجُلًا قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ وَعِنْدَهُ غُلَامٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ مُحَمَّدٌ فَقَالَ إِنَّهُ يَعْشُ هَذَا فَعَسَى أَنْ لَا يُدْرِكَهُ الْهَرَمُ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ

.. في هذه الروايات نرى صياغة أكثر وضوحاً ، فالعبارة : [] فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّهُ يَعْشُ هَذَا الْغُلَامُ فَعَسَى أَنْ لَا يُدْرِكَهُ الْهَرَمُ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ [] ..

هذه العبارة نرى فيها كلمة [] السَّاعَةُ [] ، التي تعني قيام الساعة ، لا أي أمرٍ آخر ..

.. كيف يستطيع النبي ﷺ أن يعلم الغيب في الوقت الذي نقرأ فيه الحديث التالي :

البخاري (٦٤٥٢) حسب ترقيم العالمية :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ عَنْ سُفْيَانَ عَنْ هِشَامٍ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ زَيْنَبِ بِنْتِ أُمِّ سَلَمَةَ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ وَإِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ وَلَعَلَّ

بَعْضُكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ وَأَقْضَىٰ لَهُ عَلَىٰ نَحْوِ مَا أَسْمَعُ فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا فَلَا يَأْخُذْ فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ

.. ونعود لما بدأنا به هذا البحث ، بأن غيب الله تعالى المطلق الذي لا تُوجد له مقدمات بين أيدينا لا يعلمه إلا الله تعالى ، وهذا يختلف عن الغيب المقيد الذي لا نعلمه نتيجة عوامل مادية تحول بيننا وبين رؤيته ، مثل غيب المكان ، حيث لا نعلم ما يحدث في مكانٍ آخر ، ولو توفرت لنا كاميرا تنقل لنا ما في ذلك المكان لما أصبح غيباً بالنسبة لنا ، ومثل غيب الظروف الجوية ، والذي يتحوّل إلى علم عندما نمتلك المقدمات المادية التي نستنبط منها ما سيكون عليه الطقس لاحقاً ، ومثل غيب حركة الكواكب والذي يتحوّل إلى علم عندما نمتلك المقدمات المادية التي نتمكن من خلالها معرفة مصير مسارها في المستقبل ، وغير ذلك الأمور المادية .. وكل ذلك هو غيبٌ مقيدٌ لا نعلمه نتيجة عدم امتلاكنا للعلوم وللمقدمات المادية التي تفصلنا عنه .. وهذا يختلف عن الغيب المطلق الذي لا يعلمه إلا الله تعالى ..

﴿عَلِمَ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ [الن: ٢٦ - ٢٨] إِلَّا مَنْ أَرْتَضَىٰ مِنْ رُسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْأَلُكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ [الن: ٢٦ - ٢٨]